# ناجي العلي

## إلياس خوري

مات ناجي العلي

أمس، في لندن، وبعد خمسة اسابيع من الغيبوبة، غادرنا ناجي، تاركاً في عيوننا حرقة ما قبل الوداع. وفي اقلامنا حرقة ما قبل المراثي.

ولن نرثي.

ناجي العلي صار اليوم خارج الرثاء ومعادلة التفجع. فلم يعد الرثاء بحجم هذا الموت، ولم تعد الكلمات بحجم هذا الحزن، ولم يعد.

لن نرثي،

لا لأننا تعبنا من الرثاء ولا لأن الرثاء تعب منا ومن موتنا، ولا لأن مدننا صارت كالمنافي ومنافينا صارت كالمقابر، لن نرثي لأننا نخاف، نخاف من كلماتنا وهي تهوي بنا في هاوية زمن الاغتيال. فخلف اغتيال ناجي العلي، يكمن موت أشد وجعاً من كل موت. يكمن شبح انطفاء الشهادة وخراب الروح.

وناجي العلي، ابن النكبتين، نكبة ٤٨ التي قادته الى لبنان لاجئا، ونكبة ٨٢ التي قادته الى لندن منفيا، يعلن في موته الحزين، على رصيف مدينة غريبة، يعلن نهاية مجد الموت ونهاية احلام الوداع. يعلن بأحلامنا وهي تتحول الى وحش يفترسنا ويفترس كل شيء.

لذلك لن نرثي،

وناجي وحده، ومعه طفله الشقي، بكتفيه الغائرتين، وبيراءته الجارحة، ناجي ورسومه، يعرفون كم كان الوداع مؤلما وحزينا. لا لأنه الموت، فالموت في كل مكان، من عبد الرحيم محمود الى غسان كنفاني، بل لأنه نقيض الموت. الموت يأتي بنقيضه، بموت المعاني، لينتقم من ابناء النكبتين، ولينكبهم بهذا الخواء والتفكك الذي يجتاح كل شيء، من الصحراء الى الصحراء.

ماذا نقول لناجي العلي،

نعرف انه كان يعرف.

كان ناجي يتوقع الرصاصة في كل لحظة. كان يعلم ان المدى العربي صار اضيق من خرم ابرة، ومع ذلك بقي يرسم ويكتب، بقي يشهد، ليتوج نفسه شاهدا اخيرا في زمن انسحب فيه الشهود وغابوا.

كان ناجي يريد ان يصيغ المعادلة البسيطة التي تزاوج بين الشاهد والشهيد، وتجعل منهما امتدادا لروح واحدة تنبض بالرفض والنقد.

لكنه عاش مأساة الشرخ الذي مزق الشاهد والشهيد، وحوّل النكبة إلى نكبات.

هل نقول لناجي إن الشهداء ضاقوا بالشهود.

هل نقول له ان لا احد يريد ان يرى او يسمع، لا احد يريد ان ينظر، لا احد.

هل نقول له، ان مأساة الشاهد هي انه لم يعد يتكئ على حلم أو هم أو أفق. هل نقول له، ان الكلمات ماتت، حين تحول كل شيء الى مسرح مجنون.

هل نقول لناجي شيئا، فهو لا يسمع ولا يرى. اخر ما رآه كان وجه قاتله، فأشاح عنه لأنه بدلا من ان يغضب افترسه الحزن، وبدلا من ان يصرخ، ركض نحو الصمت.

ماذا يقول الشاهد حين يرى المسدس، ويرى القاتل كأنه ضحية.

ومن هو الضحية؟

ناجي العلي لم يكن ضحية. كان ككل ابناء المخيمات محاصرا وغريبا. كان يبحث في رسومه عن طريق للعبور من الحصار الى الحياة.

ولأن ناجي ليس ضحية، لأنه الشاهد، يأتي موته الفاجع، ليعلن بكل وضوح المآسي ان المنزلق الذي تقاد اليه الثقافة الفلسطينية والعربية، هو منزلق النهاية.

وقبل النهاية نصرح بأن هذا المسلسل الدموي يجب ان يتوقف.

لا يستطيع الفلسطينيون، وهم في هذا المنعطف من تاريخ قضيتهم، ان يسمحوا للاغتيال بأن يبتلعهم.

الثقافة الفلسطينية لا تستطيع ان تعيش في مناخ الخوف والارهاب. في مناخ التصفيات والمواقف الدموية. لأنها بذلك تحكم على نفسها بالنهاية وتقوم بتصفية نفسها، في لحظة تتعرض فيها لخطر الاندثار، موت ناجي العلي شهادة للحياة وهي تغرق في لحظة تتعرض فيها لخطر الاندثار، موت ناجي العلي شهادة للحياة وهي تغرق في لجة الموت.

كيف يُسمح لناجي بأن يتم اغتياله؟

كيف نقبل لناجي ان يموت وحيدا هناك؟

كيف لم ترتفع كل الاصوات، لتقول لهذا الموت لا.

هل صحيح ان النقد لم يعد له مكان؟

هل تريدوننا ان نصدق أن كل هذه التضحيات الفلسطينية ومن اجل فلسطين، تنتهي عند مفترق الاغتيال؟

ناجي لم يصدق، حتى حين رأى المسدس رفض ان يقتنع بأن على الشاهد ان يسكت.

وهو في موته، قدم شهادة الشاهد، واعلن مجد الثقافة التي لا يستطيع احد ان يغتالها.

لناجي في موته البعيد، لعينيه المتوقدتين بالحياة، لشعره الأبيض ويديه، لرؤاه وأحلامه لفلسطينه، لعين الحلوة الذي ينبض في اعماقه.

لناجي البعيد كعيوننا، الصامت كمدننا، الغائب كأحلامنا.

له نروي، وعنه نروي، نروي حكاية الشاهد الذي لم يسقط الا ليعلن ان شهادته كانت أكبر من موته.

عن «السفير» ٣٠/٨/٨٧


## دار الآداب تقدم

### دراسات إسلامية

### سلسلة الاسلام الحضاري

| | |
|---|---|
| ■ الاسلام والمجتمع العصري | د. صبحي الصالح |
| ■ ثورة العبيد في الإسلام | د. أحمد علبي |
| ■ ١٠ ثورات في الإسلام | د. علي حسني الخربوطلي |
| ■ فلسفة الإسلام في الإنسان | د. علي عيسى عثمان |
| ■ إنسانية الإسلام | ترجمة د. عفيف دمشقية |
| ■ كيف نفهم الإسلام | ترجمة د. عفيف دمشقية. |